ورقة عمل بعنوان:

"المهن والحِرف في تاريخ المسلمين: من الإبداع الفردي إلى بناء الحضارة"

مقدمة من

الشيخ/ محمد أحمد حسين

المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

رئيس مجلس الإفتاء الأعلى

خطيب المسجد الأقصى المبارك

إلى

المؤتمر السادس والثلاثين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

بعنوان

"المهن في الإسلام أخلاقياتها، وأثرها، ومستقبلها في عصر الذكاء الاصطناعي"

القاهرة/ جمهورية مصر العربية

19-20 كانون الثاني 2026م

الملخص:

يُعدّ العمل الحِرفي في الحضـارة الإسـلامية أحد أهمّ مكونات بناء صـرحها، إذ تداخلت فيه الأبعاد الاقتصـادية والثقافية والعلمية والدينية في منظومة واحدة من الإتقان والإبداع.

لقد نشـأت المهن في المجتمع الإسـلامي بوصـفها امتدادًا لقيم العمل والكدّ والنية الخالصـة لله، ثم تحوّلت إلى مؤسـسـات منظَّمة ذات طابعٍ اقتصـاديّ وثقافيّ، أسـهمت في تطوّر المدن، وازدهار الصـناعة، وتشـكيل الهوية المادية والفنية للحضارة الإسلامية.

يتناول هذا البحث الدور المحوري الذي لعبته المهن والحرف في بناء الحضـارة الإسـلامية، من حيث تكوينها للوعي العملي، وإسهامها في البنية الاقتصادية والاجتماعية والجمالية للأمة الإسلامية.

وتعرض هذه الدراسة تطور الحرف والمهن منذ العصر النبوي حتى العصور العباسية، مركزةً على تفاعل القيم الدينية مع الممارسـة العملية، وعلى مفهوم الإتقان بوصـفه مبدأ حضـاريًا، كما تبرز العلاقة التكاملية بين العلم والعمل، والحرفة والجمال، والاقتصاد والأخلاق.

ويخلص البحث إلى أن المهن الإسـلامية لم تكن مجرد أدوات إنتاج، بل منظومات ثقافية ومعرفية جسـدت الرؤية الإسلامية للكون والإنسان والعمل.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: القدس Jerusalem
الرام AL - ram تلفون: 2- 2348601 - 9702+: Tel فاكس: 2348603 - 9702+: Fax تلفاكس: 2340085 - 9702+: Telefax الرمز البريدي: P1260342 ص.ب : P.O.Box : 1862

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فمنذ أن أرســى الإســلامُ مبادئه الأولى في الجزيرة العربية، ارتبط مفهوم العمل بمبدأ العبادة؛ فقال الله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [1].

والرسـول ﷺ قال: « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّـلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[2]، وعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ، صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، مِنْ جَلَدِهِ ونَشَـاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَـيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْـعَى عَلَى نَفْسِـهِ يَعِفُّها فَهُوَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»[3].

كانت تلك اللبنات الأولى لرفع قيمة العمل اليدوي، وإعلاء شـــأن الحِرَف والمهن، في وقت كانت فيه بعض المجتمعات تُبدي احتقارًا للعمل اليدوي، كحال العرب في الجاهلية، إذ كان بعضـــهم يعدون الاكتســـاب والاحتراف من شـــأن العبيد، ويعيرون بذلك، وقد قال أبو جهل لما علاه ابن مســـعود، رضـــي الله عنه، يوم بدر ليقتله: " فَلَوْ غَيْرُ أَكَّارٍ قَتَلَنِي" [4]، والأكّار: الزراع أو الفلاح [5].

ولشـــدة الحاجة إلى المهن والصـــناعات في حياة الناس، وصـــناعة الحضـــارة، نص الفقهاء على أن المهن والصـــــناعات التي يحتاج إليها الناس من فروض الكفايات، فيثاب القائم بها، ويأثم الجميع بتركها وتعطيلها، قال الغزالي، رحمه الله: "أما فرض الكفاية فهو علم لا يســتغني عنه في قوام أمور الدنيا، كالطب إذ هو ضــروري في

---

1. القصص:77.

2. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ- 1987م، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده.

3. المعجم الكبير للطبراني، 129/19

4. النيسابوري، مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: دون رقم طبعة، كتاب الجهاد والسير، باب قتل أبي جهل.

5. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، **صحيح مسلم بشرح النووي**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392، 12: 490.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
الرام AL - ram تلفون: 2- 2348601 - 9702+: Tel فاكس: 2348603 - 9702+: Fax تلفاكس: 2340085 - 9702+: Telefax الرمز البريدي: P1260342 ص.ب : P.O.Box : 1862

حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حُرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى، وسقط الفرض عن الآخرين" (*).

ومع توسّع الدولة الإسلامية وامتدادها، نشأت الحاجة إلى تنظيمٍ للمهن والحرف التي ارتبطت بالبناء، والتجارة، والزراعة، والصناعة، والعلوم التطبيقية، فأضحت المهن جزءًا لا يتجزأ من البنية الاجتماعية والحضارية للأمة.

لقد شكّل الحرفيون في المدن الإسلامية، منذ القرن الثاني الهجري، قاعدة اقتصادية حيوية ساهمت في إثراء العمران، وتطوير أدوات المعرفة، وتأسيس اقتصادٍ حضريٍّ متكاملٍ يجمع بين الإبداع الفني والإتقان التقني.

إنّ دراسة تاريخ المهن في الحضارة الإسلامية ليست مجرد استعراض لصور الحِرف والصناعات، بل هي مدخلٌ لفهم طبيعة الحضارة الإسلامية نفسها: كيف نظّمت علاقاتها، وكيف وازنت بين المادة والروح، وبين الربح والإحسان، وبين الفرد والمجتمع.

* الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة – بيروت، 1: 16.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
الرام AL - ram تلفون: 2- 2348601 - 9702+ :Tel فاكس: 2348603 - 9702+ :Fax تلفاكس: 2340085 - 9702+ :Telefax الرمز البريدي: P1260342 ص.ب : P.O.Box : 1862

المبحث الأول: الإطار التاريخي لظهور المهن والحرف في المجتمع الإسلامي

المهن في العهد النبوي والخلافة الراشدة:

يُعَدّ العهد النبوي والخلافة الراشدة مرحلةً تأسيسية في التاريخ الإسلامي، لم تقتصر على بناء الدولة سياسيًّا وعقائديًّا، بل شملت أيضًا تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية على أسسٍ جديدة، وقد شكّلت المهن والحرف إحدى الركائز الرئيسة في عمران المجتمع المدني الإسلامي [1]. وقد أولى الإسلام العملَ اليدوي والمهني عنايةً خاصة، فكان النبي، صلى الله عليه وسلم، يحثّ على الكسب الحلال، ويُقدّر أصحاب الحرف، ويضع قواعد عامة لتنظيم السوق ومنع الغشّ والاحتكار [2].

وبعد هجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة المنوّرة، وُجِدَ مجتمعٌ متنوّع يضمّ المسلمين واليهود، وكان الاقتصاد يعتمد على الزراعة والتجارة والصناعات البسيطة[3]. فكانت الحِرَفُ جزءًا أساسيًا من دورة الحياة اليومية، إذ احتاجت الدولة الناشئة إلى أدوات الحرب والسلم، ووسائل البناء والمعيشة[4].

ومن أبرز المهن التي عُرفت في العهد النبوي:

1. الزراعة: مارسها الأنصار على نطاق واسع، خاصة في بساتين المدينة، ونظّم النبي، صلى الله عليه وسلم، شؤون المساقاة والمزارعة في أحاديث عدة من دواوين السنة.
2. التجارة: كانت من أهم المهن؛ فالنبي، صلى الله عليه وسلم، نفسه اشتغل بها في شبابه، وأقام نظام السوق الإسلامي في المدينة، مع إشراف مباشر منه على تنظيمها ومنع الغش والاحتكار، وبيان البيوع المحرمة، وغير ذلك.
3. الحدادة والنجارة والدباغة: وُجدت صناعات بسيطة لتلبية حاجات المجتمع؛ فكان خباب بن الأرتّ حدادًا، وسعد بن أبي وقاص يرمي بالقوس التي صنعها بنفسه[5].
4. الصيد والرعي: هي أعمال ارتبطت بمصادر الرزق التقليدية في البيئة العربية في ذاك الحين[6].

---

1. عبد العزيز الدوري، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي الإسلامي**، ص 25.
2. عبد الحليم عويس، **العمل والإنتاج في الإسلام**، ص 17.
3. ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، 2/ 92.
4. الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 3/ 55.
5. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص 28.
6. محمود شيت خطاب، الاقتصاد في صدر الإسلام، ص 39.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
الرام AL - ram تلفون: 2- 2348601 - 9702+ :Tel فاكس: 2348603 - 9702+ :Fax تلفاكس: 2340085 - 9702+ :Telefax الرمز البريدي: P1260342 ص.ب : P.O.Box : 1862

وقد بدأ التنظيم المهني في أبسط صوره منذ العهد النبوي، حيث كانت المهن تُمارَس في المدينة المنورة ضمن إطارٍ أخلاقيٍّ متين، يقوم على الصدق والإحسان ومراقبة الله في العمل[1]. وكانت الأسواق تخضع لرقابةٍ مباشرة من الرسول، صلى الله عليه وسلم، أو من يُنيبه، فيما يشبه نظام الحسبة، الذي تطوّر لاحقًا في العصور اللاحقة.

وتشير الباحثة آمال لعشوري في دراستها "الحرف والمهن في الدولة الإسلامية الأولى" إلى أنّ "العمل في صدر الإسلام كان يُعدّ وسيلة للتعبّد، ومظهرًا من مظاهر الكرامة الإنسانية، لا مجرّد وسيلة للكسب"[2].

وفي عهد الخلفاء الراشدين توسّعت الدولة الإسلامية، ما أدى إلى تنوّع مواردها الاقتصادية، وتعدد المهن والحرف[3]، واستمرّ الاعتماد على الزراعة والتجارة، وظهرت صناعات جديدة مع توسّع العمران والفتوحات، كصناعة السلاح، والنسيج، والدباغة، والخزف، وصناعة السفن في المناطق الساحلية[4]، ونتيجة لذلك تأسست الدواوين في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لتنظيم الموارد، وأُنشئ ديوان العطاء، وديوان الجند، ما يدل على تطور التنظيم الإداري والمالي[5].

كما أنشئت الأسواق المركزية في الأمصار الجديدة، وكان على رأسها المحتسب، أو العريف، لضبط الموازين ومراقبة جودة السلع، وهو ما يعدّ نواةً لمؤسسات الرقابة المهنية في الحضارة الإسلامية[6].

وقد أدّت هذه المرحلة إلى تأسيس منظومة عملٍ أخلاقيةٍ وتشريعيةٍ ظلّت مؤثرة في العصور الإسلامية اللاحقة؛ فقد كان للنظام المهني في المدينة دور في بناء أسس السوق الإسلامي، وفي غرس قيم العدالة الاجتماعية والتكافل الاقتصادي[7].

وشكّلت روحُ الإتقان في العمل قاعدةً لتقدّم الصناعات في العصر الأموي والعباسي، حين تطوّرت إلى حرف متخصصة، ومنظمات مهنية تُعرف بـ«الطوائف الحرفية»[8].

1. لعشوري، آمال، **الحرف والمهن في الدولة الإسلامية الأولى**، ص42، جامعة قالمة، الجزائر، 2020.
2. المصدر نفسه، ص42.
3. عبد العزيز الدوري، ص 65.
4. البلاذري، ص 97.
5. الطبري، 4/ 122.
6. مجلة دراسات تاريخية، العدد 23، "النشاط الاقتصادي في العهد النبوي"، ص56، جامعة دمشق، 2005م.
7. الدوري، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي الإسلامي**، ص 110.
8. ابن خلدون، **المقدمة**، ص285.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
الرام AL - ram تلفون: 2- 2348601 - 9702+ :Tel فاكس: 2348603 - 9702+ :Fax تلفاكس: 2340085 - 9702+ :Telefax الرمز البريدي: P1260342 ص.ب : P.O.Box : 1862

العصور الأموية والعباسية: من الحرفة إلى المؤسّسة

شهدت الحضارة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي تطورًا واسعًا في مختلف ميادين الحياة، وكان من أبرز مظاهر هذا التطور ازدهار المهن والحرف نتيجةً لاتساع رقعة الدولة الإسلامية، وتنوع مواردها الاقتصادية، واستقرار الأمن، وازدياد الحاجة إلى الإنتاج المنظم والمهارات الفنية الدقيقة[1].

ومع قيام الدولة الأموية (41–132هـ)، اتسعت الدولة من الأندلس غربًا إلى حدود الصين شرقًا، ما أدى إلى تنوع البيئات الاقتصادية، وتفاعل الحرف والمهن بين الشعوب المختلفة[2]، وتطورت المدن الكبرى مثل دمشق، وحمص، والكوفة، والبصرة، وأصبحت مراكز حضرية عامرة بالأسواق والحرفيين والتجار[3].

وشكّلت الزراعة العمود الفقري للاقتصاد الأموي، خاصة في العراق والشام ومصر، حيث أُدخلت أنظمة الريّ المتقدمة، وحُفرت الترع والقنوات[4]، وتطورت صناعة النسيج في دمشق والموصل، وبلغت شهرة الأقمشة الدمشقية والأطلسية أرجاء العالم الإسلامي[5].

ونظرًا لاتساع رقعة الدولة والحروب المستمرة، نشطت صناعة السيوف والدروع والرماح في الكوفة واليمن[6]، وازدهرت العمارة بفعل بناء المساجد والقصور، مثل قصر الحير، وقبة الصخرة، فظهرت حرف النقش والزليج والزخرفة[7].

وقد ازدهرت التجارة البرية والبحرية، وبرز التجار كطبقة مؤثرة في المدن، وتم تنظيم الأسواق بنظام الحسبة الذي تطور لاحقًا[8].

ومع قيام الدولة العباسية سنة 132هـ، دخلت المهن والحرف مرحلةً من الازدهار غير المسبوق، بفضل الاستقرار السياسي النسبي، واتساع التجارة الدولية، ونمو المدن الكبرى، مثل بغداد وسامراء والبصرة[9]، وتطورت البنية الاقتصادية

---

1. الدوري، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي الإسلامي**، ص 115.
2. الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 5/ 134.
3. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص 312.
4. الدوري، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي الإسلامي**، ص 122.
5. ابن خلدون، **المقدمة**، ص298.
6. الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 6/ 88.
7. **مجلة دراسات تاريخية**، العدد 25، ص 47.
8. عويس، **العمل والإنتاج في الإسلام**، ص 74.
9. الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 7/ 210.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
الرام AL - ram تلفون: 2- 2348601 - 9702+: Tel: فاكس: 2348603 - 9702+: Fax تلفاكس: 2340085 - 9702+: Telefax الرمز البريدي: P1260342 ص.ب : P.O.Box : 1862

لتشمل الورش والمعامل والحرف الدقيقة التي تحتاج إلى مهارة عالية وتنظيمًا متقنًا[1]، فبلغت ذروة الإتقان في صناعة السيوف البغدادية والدمشقية، وصناعة النحاس والفضة[2].

وتميّزت بغداد والموصل وصنعاء بصناعة الأقمشة الرفيعة والحرير المطرز بالذهب[3]، وأُنشئت معامل الورق في سمرقند ثم بغداد، ما أسهم في ازدهار العلم والنسخ والتأليف[4].

واشتهرت سامراء والفسطاط بصناعة الزجاج والخزف المزخرف ذي الألوان المتعددة[5]، وأصبحت المهن العلمية مثل الطب والكيمياء والصيدلة حرفًا متطورة، تمارس في البيمارستانات والمدارس الطبية[6].

وتميّز العصر العباسي بتقدّم تقني وفني غير مسبوق، حيث امتزجت الخبرات الفارسية والرومية والهندية بالمهارات العربية، فظهرت صناعات جديدة، مثل: صناعة الورق والبارود والزجاج الملوّن[7].

كما كان للترجمة والعلوم التطبيقية أثر في تطور الحرف الدقيقة، خاصة في الطب والهندسة والكيمياء[8].

وأصبح أرباب المهن والحرف طبقة اجتماعية، وبرزوا كقوة اقتصادية فاعلة في المدن، وأصبح الحرفي يحظى بتقديرٍ اجتماعي بفضل جودة إنتاجه[9]، وانتقل كثير من الحرفيين من القرى إلى المدن، ما أسهم في التمدن العمراني، وظهور الأسواق المتخصصة؛ كـ"سوق الوراقين" و"سوق النحاسين" و"سوق العطارين"[10].

1. الدوري، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي والإسلامي**، ص140.
2. ابن خلدون، **المقدمة**، ص302.
3. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص 330.
4. ابن النديم، **الفهرست**، ص 48.
5. **مجلة دراسات حضارية**، العدد 19، ص 72.
6. الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 8/ 95.
7. **مجلة دراسات تاريخية**، العدد 27، ص 81.
8. ابن النديم، **الفهرست**، ص 53.
9. عويس، **العمل والإنتاج في الإسلام**، ص85.
10. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص 342.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
P.O.Box : 1862 ص.ب : P1260342 الرمز البريدي: Telefax:+9702 - 2340085 تلفاكس: Fax:+9702 - 2348603 فاكس: Tel: +9702 - 2348601 -2 تلفون: AL - ram الرام

المبحث الثاني: نماذج من المهن والحرف المبدعة في التاريخ الإسلامي

1. الورّاقون وصناعة الورق:

من أعظم المهن التي أسهمت في صناعة الحضارة الإسلامية مهنة الورّاقين، الذين كانوا يتولّون صناعة الورق، ونسخ الكتب، وتجليدها، وبيعها، وكانت بغداد وسمرقند والقاهرة مراكز رئيسة لصناعة الورق، حتى أصبحت هذه الصناعة رمزًا علميًّا للعصر الذهبي.

يذكر الفرقان للتراث الإسلامي أنّ "الورق العربي لم يكن مجرّد مادة كتابة، بل كان وسيلة حضارية لنشر المعرفة؛ فقد أسهم الورّاقون في نقل العلوم وتدوينها، وكانوا من أوائل طبقات المثقفين في المجتمع"[1].

ولقد مكّنت هذه الحرفة الأمة الإسلامية من تحقيق ثورة معرفية سابقة لعصرها؛ فانتقلت الكتب من كونها أدوات نادرة لتصبح متاحة على نطاق واسع في المدارس والبيمارستانات والمكتبات العامة.

2. الخزف والزجاج:

بلغت صناعة الخزف والزجاج في العصر العباسي قمة الإبداع؛ فالحرفيون في سامراء والفسطاط ونيسابور أبدعوا في تصنيع الخزف المذهب، والزجاج الملوّن.

وتوضح دراسة أجنبية أن " الخزف الإسلامي كان ثورة تقنية وفنية؛ إذ استخدم الفنانون المسلمون أكاسيد المعادن لابتكار تأثيرات ضوئية مدهشة، ما جعل منتجاتهم تُنافس التحف الصينية والأوروبية"[2].

وارتبطت هذه الصناعة بالروح الجمالية الإسلامية؛ فالتجريد والزخرفة الهندسية التي وُظِّفت في الزجاج والخزف لم تكن ترفًا بصريًّا، بل ترجمةً فنية لفكرة التوحيد الإلهي في الكثرة، كما عبّر عنها الفن الإسلامي عامة.

---

1. النقشبندي، أسامة ناصر محمود، **الورق وتاريخ صناعته في الحضارة العربية الإسلامية**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.
2. دراسة Chabanne et al. بعنوان Ceramics with Metallic Lustre Decoration، ص 7.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
الرام AL - ram تلفون: 2- 2348601 - 9702+ :Tel فاكس: 2348603 - 9702+ :Fax تلفاكس: 2340085 - 9702+ :Telefax الرمز البريدي: P1260342 ص.ب : P.O.Box : 1862

3. المعمار والنجارة والنقش:

يُعدّ المعمار المسلم مثالًا بارزًا للحرفيّ الفنان، الذي يجمع بين العلم والعمل، كان البنّاؤون والنقّاشون والمهندسون في العصور العباسية والفاطمية والأندلسية يبدعون تصاميمَ تمزج بين الوظيفة والجمال.

ومن يتأمل العمارة في العصر العباسي، يخلص إلى أنها كانت نتاجًا لتعاون جماعي بين الحرفيين من نحاتين ومهندسين، وأنّ هذا التكامل المهني أنتج طابعًا معماريًّا متفرّدًا في التاريخ الإنساني، وكانت المساجد والمدارس والقصور والأسواق انعكاسًا مباشرًا لتقدّم المهن، فكلّ لبنةٍ وزخرفةٍ كانت نتاج يدٍ حرفيةٍ متقنة.

4. المهندسون وأصحاب الحِيل:

إلى جانب المهن اليدوية، برزت مهنٌ علميةٌ تطبيقيّة، مثل مهنة المهندسين وصانعي الآلات؛ فقد جمع العلماء المسلمون بين الحرفة والعلم، فظهر ما يُعرف بـ "أصحاب الحِيل" الذين أتقنوا صناعة الأجهزة الميكانيكية والساعات الفلكية.

يقول الخازني: "المهندس لا يكون صادق العمل إلا إذا جمع بين التجربة والقياس والنظر العقلي"(*)، هذه النظرة العلمية للحرفة جعلت الصناعة الإسلامية متقدّمة على غيرها في مجالات الآلات الدقيقة والموازين والأدوات الفلكية.

* الخازني، عبد الرحمن، **ميزان الحكمة**، 2/ 113، تحقيق محمد عبد الحميد، القاهرة، 1959.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
P.O.Box : 1862 : ص.ب P1260342 الرمز البريدي: Telefax:+9702 - 2340085 تلفاكس: Fax:+9702 - 2348603 فاكس: Tel: +9702 - 2348601 -2 تلفون: AL - ram الرام

المبحث الثالث: أثر المهن في الاقتصاد والعمران الإسلاميين

1. الاقتصاد الحضري والتنظيم السوقي:

كانت المهن تشكّل العمود الفقري للاقتصاد الإسلامي الحضري؛ فالمدن الإسلامية الكبرى مثل: بغداد وقرطبة ودمشق والقاهرة كانت تقوم على الأسواق المتخصّصة، التي تتوزع فيها الطوائف الحرفية.

هذا التنظيم خلق توازنًا اقتصاديًّا واجتماعيًّا حافظ على استقرار الأسعار وجودة الإنتاج، كما أرسى مفهوم "العدالة السوقية"، الذي سبق مفاهيم التجارة العادلة الحديثة.

2. العمارة والتخطيط الحضري:

ساهمت المهن الحرفية في تطوّر المدن الإسلامية عمرانًا وتنظيمًا؛ فالصناع وعمّال البناء، والنقّاشون، والنجّارون، والمزخرفون شكّلوا روح المدينة الإسلامية.

وفي هذا السياق تقول سوسن بهجت يونس في دراستها "الصناعة وأثرها في بلاد المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي": "لم تكن الصناعة في العصر العباسي مجرد نشاط اقتصادي، بل كانت عاملًا في تشكيل البنية المكانية للمدن، إذ انتظمت الأسواق والحرف حول مراكز العبادة والإدارة، ما يعكس التوازن بين الديني والدنيوي في تخطيط المدينة الإسلامية"(*)

لقد كانت المهن إذن جزءًا من هندسة المدينة، لا مجرد عناصر هامشية فيها.

* يونس، سوسن بهجت. **الصناعة وأثرها في بلاد المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي**، ص77، جامعة بغداد، 2020.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
P.O.Box : 1862 : ص.ب P1260342 الرمز البريدي: Telefax:+9702 - 2340085 تلفاكس: Fax:+9702 - 2348603 فاكس: Tel: +9702 - 2348601 -2 تلفون: AL - ram الرام

المبحث الرابع: المهن كقيمة حضارية وثقافية

لم تكن المهن في المجتمع الإسلامي مجرّد أنشطة إنتاجية، بل كانت تمثّل منظومة قيمٍ حضاريةٍ متكاملة، إذ ارتبطت الحرفة في الوعي الإسلامي بمفهوم العبادة والإحسان والإتقان، وقد أصبحت هذه القيمة الأخلاقية أساسًا فلسفيًّا لبناء الحرف والمهن الإسلامية، فالفكر الإسلامي لا يفصل بين القيم المادية والروحية في المهنة، بل يعد الإتقان مظهرًا من مظاهر الإيمان.

كما ارتبطت المهن ارتباطًا وثيقًا بالهوية الثقافية للأمة؛ إذ كانت أسماء الأسواق والمناطق في المدن الإسلامية– مثل سوق الورّاقين، وسوق النحاسين، وسوق العطارين– شاهدةً على هذا الحضور الثقافي للمهنة في النسيج الاجتماعي، وكانت كل حرفةٍ تنقل عبر الأجيال ذاكرةً حضاريةً غنية بالمهارات والعلاقات والمعارف التطبيقية.

العلاقة بين الحِرف والعِلم في الحضارة الإسلامية:

تميزت الحضارة الإسلامية بتكاملٍ فريدٍ بين العلم النظري والعمل التطبيقي؛ وكان العلماء المسلمون يمارسون المهن والحرف إلى جانب البحث العلمي.

نجد مثلًا الجزري، مؤلف "الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل"، الذي جمع بين الهندسة النظرية والصناعة العملية، كتب في مقدمة كتابه: "ولم أزل منذ حداثتي مولعًا بهذا الفن، مستقصيًا عن خواص الأجسام، مستعملًا في ذلك التجربة والملاحظة"(*).

كما كان ابن الهيثم يصنع آلاته البصرية بيده، وهو ما يؤكّد أن العمل الحرفي في الإسلام لم يكن أدنى من العلم، بل شريكًا له في تحقيق عمارة الأرض.

لقد سبق المسلمون بذلك المفهوم الحديث لـ "الاقتصاد المعرفي"، إذ كانت المعرفة والحرفة يتكاملان في إطار رؤية توحيدية تجعل العمل طريقًا للعلم، والعلم وسيلةً للإتقان العملي.

---

* الجزري، **الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل**، ص3.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
الرام AL - ram تلفون: 2- 2348601 - 9702+ :Tel فاكس: 2348603 - 9702+ :Fax تلفاكس: 2340085 - 9702+ :Telefax الرمز البريدي: P1260342 ص.ب : P.O.Box : 1862

الحرفة والهوية الجمالية الإسلامية:

لا يمكن فصل المهن الإسلامية عن الهوية الجمالية للفنون الإسلامية عبر العصور، فتكرار الأشكال الهندسية في الزخرفة الإسلامية — سواء في الخزف أم المنسوجات أم العمارة — لم يكن صدفةً، بل انعكاسًا لرؤية فلسفية ترى في التناسق رمزًا للوحدة الإلهية في الكثرة، هذه الرؤية الجمالية رسّخت مكانة المهن كجسرٍ بين الحسّ والعقل، بين الإبداع والعبادة، بين الفن والإيمان.

يقول الدكتور عارف وحيد: "ينبع الجمال المعقد والرائع للفن الإسلامي من استكشاف عميق للروحانية والتفاني للإله، ويتم التصميم بدقة مع شعور بالتبجيل والرهبة للمقدس، يعمل الفن الإسلامي كمظهر مرئي للرحلة الروحية نحو التنوير والتسامي، وتشجيع التأمل الروحي، والتأمل الذاتي، وربط الأفراد على مستوى أعمق"(*)

* ضمن **مقال بعنوان "الجمال في الفن الإسلامي"**، منشور على الشبكة العنكبوتية.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
P.O.Box : 1862 : ص.ب P1260342 الرمز البريدي: Telefax:+9702 - 2340085 تلفاكس: Fax:+9702 - 2348603 فاكس: Tel: +9702 - 2348601 -2 تلفون: AL - ram الرام

الخاتمة والنتائج

لقد كانت المهن في الحضارة الإسلامية نظامًا حضاريًّا شاملاً، انصهرت فيه قيم الدين والعقل والعمل في بوتقةٍ واحدةٍ من الإبداع؛ فقد جسّد الحرفي المسلم مفهوم العبادة عبر العمل، وحوّل الصناعة إلى فنٍّ راقٍ، والفن إلى رسالةٍ توحيديةٍ تعبّر عن وحدة الخالق في تنوّع المخلوقات.

وبذلك أسهمت المهن والحرف في بناء حضارةٍ لم تقم على القوة العسكرية وحدها، بل على العمل والإتقان والجمال، مما يشكل الأسس التي ما تزال قادرة على إلهام العالم الحديث في سعيه نحو التنمية المتوازنة والعدالة الاجتماعية.

وبعد استقراء المراحل التاريخية والفكرية للمهن في الحضارة الإسلامية، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1. المهن كانت بُنية حضارية متكاملة جمعت بين الاقتصاد والعلم والدين والجمال، وليست مجرد أنشطة إنتاجية.
2. الإتقان والإبداع مثّلا ركيزتين أخلاقيتين للحرفة الإسلامية، وهما امتداد مباشر للفكر التوحيدي.
3. النظام المهني المتمثل في الحسبة والطوائف أسهم في تحقيق العدالة السوقية وضبط الجودة، سابقًا بمفاهيمه التنظيمات الحديثة.
4. العلاقة بين الحرفة والعلم في الإسلام أوجدت بيئة معرفية متميّزة، جمعت بين التجريب والنظر، وبين الصنعة والفكر.
5. الهوية الجمالية الإسلامية في المهن والحرف أسست لذوقٍ فنيٍّ إنسانيٍّ راقٍ، ما يزال أثره قائمًا حتى اليوم في العمارة والفنون المعاصرة.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
P.O.Box : 1862 ص.ب : P1260342 الرمز البريدي: Telefax:+9702 - 2340085 تلفاكس: Fax:+9702 - 2348603 فاكس: Tel: +9702 - 2348601 -2 تلفون: AL - ram الرام

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ– 1987م.
3. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، **فتوح البلدان**، الناشر: دار ومكتبة الهلال– بيروت، عام النشر: 1988م.
4. الجزري، إسماعيل بن الرزاز، **الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل**، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، 1979م.
5. الخازني، عبد الرحمن، **ميزان الحكمة**، تحقيق محمد عبد الحميد، القاهرة، 1959م.
6. ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1401هـ – 1981م.
7. ابن سعد، حمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، **الطبقات الكبرى**، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ – 1990م.
8. ابن النديم، **الفهرست**، اعتنى بها وعَلّق عليها: الشيخ إبراهيم رمضان (دار الفتوى – بيروت)، الناشر: دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1417هـ – 1997م.
9. الدوري، عبد العزيز، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية السلسلة: الأعمال الكاملة للدكتور عبد العزيز الدوري، 2007م.
10. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، **المعجم الكبير**، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقاً، المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد 13، دار الصميعي – الرياض / الطبعة الأولى، 1415هـ – 1994م.
11. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية 1387هـ – 1967م، وصَوّرتْها: دار التراث بيروت وغيرها كثير.
12. عبد الحليم عويس، **العمل والإنتاج في الإسلام، القاهرة**، دار السلام، 1999م.
13. لعشوري، آمال، **الحرف والمهن في الدولة الإسلامية الأولى**، جامعة قالمة، الجزائر، 2020م.
14. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة – بيروت.
15. **مجلة دراسات تاريخية**، "النشاط الاقتصادي في العهد النبوي"، جامعة دمشق، 2005م.
16. محمود شيت خطاب، **الاقتصاد في صدر الإسلام**، بغداد، مطبعة الإرشاد، الطبعة الأولى، 1972م.
17. النقشبندي، أسامة ناصر محمود، **الورق وتاريخ صناعته في الحضارة العربية الإسلامية**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، دون طبعة.
18. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، **صحيح مسلم بشرح النووي**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392م.
19. النيسابوري، مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: دون طبعة.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
P.O.Box : 1862 ص.ب : P1260342 الرمز البريدي: Telefax:+9702 - 2340085 تلفاكس: Fax:+9702 - 2348603 فاكس: Tel: +9702 - 2348601 -2 تلفون: AL - ram الرام

20. يونس، سوسن بهجت. **الصناعة وأثرها في بلاد المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي**، جامعة بغداد، 2020.

مواقع الإنترنت:

1. دراسة Chabanne et al. بعنوان Ceramics with Metallic Lustre Decoration، https://www.researchgate.net/ .
2. وحيد، الأستاذ الدكتور عارف، **مقال بعنوان "الجمال في الفن الإسلامي** ، https://uomus.edu.iq/

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
الرام AL - ram تلفون: 2- 2348601 (2) Tel: +9702 - 2348603 فاكس: Fax:+9702 - 2340085 تلفاكس: Telefax:+9702 - P1260342 الرمز البريدي: P.O.Box : 1862 ص.ب :

الفهرس

Contents

الملخص 1
المقدمة 2
المبحث الأول: الإطار التاريخي لظهور المهن والحرف في المجتمع الإسلامي 4
المبحث الثاني: نماذج من المهن والحرف المبدعة في التاريخ الإسلامي 8
المبحث الثالث: أثر المهن في الاقتصاد والعمران الإسلاميين 10
المبحث الرابع: المهن كقيمة حضارية وثقافية 11
الخاتمة والنتائج 13
المصادر والمراجع 14
الفهرس 16

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب فاكس: Fax:+9722 - 6262495 تلفون: Tel: +9722 - 6260042 القدس Jerusalem
الرام AL - ram تلفون: 2- Tel: +9702 - 2348601 فاكس: Fax:+9702 - 2348603 تلفاكس: Telefax:+9702 - 2340085 الرمز البريدي: P1260342 ص.ب : P.O.Box : 1862